

التفسير المختصر - سورة النمل (٢٧) - الدرس (٠٢-١٢) : تفسير الآيات ١٥ - ١٨ - ٢١ - ٢٧ ، ولقد آتينا داوود وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-٠٨-١٥

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علمنا ما ينفعنا وأنفعنا بما علمتنا وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، في سورة النمل قصة لها دلالات كبيرة، وبإحدى ذي بدء ؛ القصة في القرآن الكريم ليست قصة وقعت، وليست قصة لن تقع بعد اليوم، إنها تمثل نموذجاً مكرراً، فما لم تستنبط من القصة الحقيقة والموعظة والقانون فكأننا لم نقرأ قصة في كتاب الله، فربنا سبحانه وتعالى قال:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥)﴾

(سورة النمل)

هل تصدق أن أعظم نعمة على الإطلاق أن يُعلمك الله، ولأن رتبة العلم أعلى الرتب، ولأن الله سبحانه وتعالى فضل الإنسان على باقي المخلوقات بالعلم، وأنك إن أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإن أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإن أردتهما معاً فعليم بالعلم ! وفضل العالم على العابد كفضل النبي على أدنى الناس، وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل، والإنسان دون علم يشقى في الدنيا والآخرة وأساس الدين تعرفه فنتطيعه فتسعد بقربه، فالسعادة هي الهدف والطاعة هي الثمن، والعلم هو السبب.

أبسط مثال ؛ إنساناً ضغطه مرتفع، والضغط المرتفع أحياناً ليس له أي أعراض، فقد تجده في أعلى درجات الحيوية والصحة وضغطه ثمانية عشرة، هل يستطيع أن يعالج هذا الضغط إلا إذا عرف أن معه ضغط ؟! فأول خطوة من خطوات معالجة الضغط المرتفع أن تقيس ضغطك، ولذلك المعرفة أساس التوبة، والإمام الغزالي له كلمة رائعة قال التوبة لها ثلاثة أركان: علم وحال وعمل، الحال هو الندم، ولن تندم إلا إذا علمت، ولن تتوب إلا إذا ندمت، فالإنسان متى يعالج نفسه؟! إذا علم أن الشحوم مرتفعة، والكوليسترول نسبته رقيقة، فمتى يحدد الإنسان الغذاء الخاص به ؟ بعد أن يقرأ التحليل، إذا هل هناك حركة نحو الإصلاح قبل العلم ؟ لا، العلم مبدئياً، تعرف حجمك وفي أي طريق أنت، وفي أي اتجاه، والمشكلة التي تعاني منها، فالإنسان كيف يعلم أنه

على باطل؟ إذا لم يحضر مجلس علم، وكيف يعرف أنه على انحراف؟ كيف يعلم أن دخله فيه مشكّلة؟ إذا لم يحضر مجالس العلم، فبه تعرف حجمك وعملك، ومطابفة عملك للشرع، لذا أكبر نعمة على الإطلاق أن تتعلم، وأن يؤتيك الله علماً صحيحاً، لذا رتبة العلم أعلى الرتب، قال تعالى:

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٩)﴾

[سورة الأحقاف]

فالإنسان لما يُسمح له أن يتلقى العلم من منبعٍ صافٍ وفق الكتاب والسنة؛ العلم الذي أرادَهُ اللهُ فهذه أكبر نعمة يُعَمُّ بها الإنسان قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥)﴾

(سورة النمل)

معنى ذلك أن هناك مؤمن عابد، وآخر عالم، العابد مقاومته هذه الأشياء من السهل جدا أن يعصي الله لأتفه سبب، تنطلي عليه الأمور والخزعات والخرافات، يمشي في طريق غلط وهو لا يشعر، ويأخذ فرع من فروع الدين، ويجعله هو الدين، ويأتي على أحد أصول الدين فيجعله فرعاً، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥)﴾

(سورة النمل)

الآن على ماذا يشكر الناس؟ يقول لك: بيّتي أربعين متراً! والآخر يقول لك: لي بضاعة أربع مائة ضعف! إنتبه لما تقول! فإذا فضل الله عليك بالمال، فالمال زائل، والبيت زائل، والمركبة والمزرعة... كل هذا زائل، أما العلم هو المستمر، وهو الذي تسعد به في الدنيا والآخرة، لذا الإنسان إذا لم يطلب العلم جهل، وطلب العلم فرض عين على كل مسلم، فلا تقل لي أنا مهندس لا علاقة لي بالدين!! هذا كلام فارغ، قال تعالى:

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) وَحَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْبَانِسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ ﴿

(سورة النمل)

الآن نحن أمام إعجاز علمي، الله جل جلاله أثبت للنمل النظام الاجتماعي والمعرفة، فالنملة تُخاطب، وخطابها عن طريق المواد الكيماوية، فإذا الإنسان سحَقَ نملة بيده، فإنه ينتشر من هذه النملة رائحة هي استغاثة لكل النمل، وبعد وقت قليل تأتي مئات النملات أمامها، فهناك خطاب، وأحياناً تكون حبة القمح أو الخبز أكبر من طاقتها فتُرسل إشارة فتأتي

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْتُمْ أَنْتُمْ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ  
الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) وَحَشِيرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّى  
إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ ﴿

(سورة النمل)

زميلاتها، وأحياناً تُخزّن النملة حبة القمح في وكرها وتنزّع رُشيمها وتأكله !! وهذا من أجل أن  
لا تنمو هذه الحبة، لأنها إن تركت الرُشيم نمت هذه الحبة، وهناك بُدور لها رُشيمان، وحينها تأكل  
النملة الرُشيمين من أجل أن تكون هذه الحبة غذاءً لا نباتاً، فإله سبحانه وتعالى أثبت للنملة النطق  
والمعرفة.

مرّة راقبتُ وكر نمل ؛ شيء لا يُصدّق ! قطعة خبز تجرّها نملة فاستغاثت بزميلاتها فجاءها  
أربعة نمل، وكل نملة من طرف، والنملة يمكنها أن تحمل عشرة أمثال وزنها، فإذا الواحد منّا  
وزنه سبعين كيلو، فهو لا يمكنه أن يحمل سبعمائة كيلو غرام ! لكنّ النملة عشرة أمثال وزنها،  
وإذا كانت قطعة الخبز أو الطعام ؛ فمجتمع النمل ومجتمع النحل هو مجتمع متعاون بأعلى  
درجات التعاون، إذ هناك نمل يمثّل الشرطة، ويفقن على الطريق، ولا يسمحن بأية نملة  
بالخروج من الطريق، وأخر حارسات، مجتمع منظم ومتعاون وهناك تنسيق، وله قيادة وشرطة  
وجهاز ضبط، ومع ذلك هذا المجتمع يستطيع أن يتواصل إعلامياً بالنطق، فإله عز وجل تبسيطاً  
لمداركنا قال: قالت نملة ! قال تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ  
وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) ﴿

(سورة النمل)

أحدُ شيوخ الأزهر كان أمياً، وبدأ يدرس العلم فوجدّه صعباً فتركه وحاول ثانياً ثم ترك، وبعدها  
بيس، قال: كنت جالساً مرّة في مكان فوجدت نملة تريد الصعود على الحائط، سقطت فأعدت  
الكرة، وعدّ هذا الشيخ المرات التي حاولت فيها الصعود فوجدّها أربعين مرّة !! فقال: علّمتني  
نملة أن لا أياس، ورجع وطلب العلم، وما مات إلا وهو شيخ الأزهر ! والذي علّمه نملة:

أخْلُقْ بذي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ وَمُدْمِنِ الْقِرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجِ

\*\*\*

فإله تعالى يمتحنُ صدق الإنسان، فلا يمكنك أن تتعلم من أول درس، ولكن درس مع درس،  
وصلاة مع صلاة، وإنفاق مع إنفاق تكون النتيجة، فهذه النملة علّمت هذا الإنسان، وأصبح شيخ  
الأزهر بفعلها والمؤمن أيها الإخوة لا يياس.  
قال تعالى:

﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) ﴿

(سورة النمل)

فهذه النملة عرّفت مقام النبوة، فهي شهدت أن هؤلاء المارّة إن قتلنكم فهم لا يشعرون وليس عن قصد، لأنها عظمت مقام النبوة، قال تعالى:

﴿فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩)﴾

(سورة النمل)

معنى ذلك أن سيدنا سليمان أوتي أن يسمع حديث النمل، والشيء الآخر أن الآية الكريمة وهي قوله تعالى:

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَمْ تُفْقَهُوا تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)﴾

[سورة الإسراء]

وقد كان صلى الله عليه وسلم يخطب على جذع نخلة فقد روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أأنا أجعل لك شينا تقعد عليه فإن لي غلاما نجارا قال:

(( إِنْ شِئْتَ قَالَ فَعَمِلْتُ لَهُ الْمَنِيرَ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَعَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَنِيرِ الَّذِي صُنِعَ فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا حَتَّى كَادَتْ تَنْشَقُ فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَخَذَهَا فَضَمَّهَا إِلَيْهِ فَجَعَلَتْ تَنْزُّ أَنْيْنَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّتُ حَتَّى اسْتَفْرَتَ قَالَ بَكَتْ عَلَيَّ مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ ))

[رواه البخاري]

دخل إلى بستان فرأى فيه جملاً، ولما نظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ذرقت عيناه، فجاء النبي ومسح دموعه لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((لو بقيتم على الحال التي أنتم عليها لصافحتكم الملائكة! ))

فالإنسان كلما ارتقى تشف نفسه فيرى ما لا يراه الآخرون، ويسمع ما لا يسمعه الآخرون، قال تعالى:

﴿فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾

(سورة النمل)

أوزعني أي ألهمني، نحن عندنا حكم، ما العمل الذي يرضاه الله عز وجل؟ وما العمل الذي يقبله الله عز وجل؟ وما العمل الذي ترقى به عند الله عز وجل؟ والذي تدخل به إلى الجنة؟ العمل كما قال الفضيل: لا يقبل إلا إذا كان صواباً وخالصاً، فالخالص ما ابتغي به وجهه الله وصواباً ما وافق السنة، هذا معنى قول الله تعالى:

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾

(سورة النمل)

ترضاه بالمناسبة فعلٌ مُضارِع، والجملة في محلِّ نصبٍ صفة، والصفة قيد، أي أن أعملَ صالحًا مرضيًّا عنه، فالصالح لا يُقبل إلا إذا كان مرضيًّا عنه، ومتى يُقبلُ عنه؟ إذا كان خالصًا وموافقًا للسنة قال تعالى:

﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩)﴾

(سورة النمل)

الحقيقة بعد أن قال الهدهد، وسوف نأخذ قوله في المرة القادمة، قال تعالى:

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧)﴾

(سورة النمل)

سننظرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ! هذه الآية لكلِّ إنسانٍ ولآه الله على عشرِ أشخاصٍ فما فوق رئيسِ دائرة، ومُديرِ مُستشفى، ومعلِّمٍ بصفٍّ، قيل أن تتخذ قرارًا يجب أن تنقصي الحقائق، وقبل أن تُنزل العقاب بزید يجب أن تعرف ماذا فعل؟ لذلك هذه الآية يحتاجها كلُّ أب، تأتيك ابنتك إلى البيت تبكي وتتكلّم عن زوجها، فالأب يغضب ويزمجر ويتوعّد وليتّه استدعى زوجها وسأله لماذا أنت غاضب عليها؟ فربما حينها تسكت عن أشياء كثيرة، لذا قال: سننظرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ !

والحمد لله رب العالمين